

الكتابة الليبية ومناطق إنتشارها *The Libic writing and its areas of spread*

الياسمين أقوني

جامعة مولود معمري (تيزي وزو / الجزائر)، elyasmine.aggouni@ummto.dz

تاريخ النشر: 2024/10/12

تاريخ القبول: 2024/09/14

تاريخ الإستلام: 2024/01/08

ملخص:

إن توصل الإنسان الليبي إلى اختراع الكتابة دليل على قدرته في إيجاد وسيلة تعبير و اتصال مكنته من تجاوز مرحلة ما قبل التاريخ و الولوج إلى العصور التاريخية بحيث أنهم أوجدوا كتابة خاصة بهم، و أصبحت عنصرا مميذا في شخصيتهم المحلية، و استخدمت هذه الكتابة من طرف الممالك الليبية و من طرف المواطنين، مثلما نجده في تكريس المعابد أو في شواهد القبور بالنسبة للمواطنين، سنحاول من خلال هذا المقال التطرق إلى أصل و تطور الكتابة الليبية (الليبية، الليبية البربرية والتيفيناغ) و ذكر مختلف مناطق انتشار نقوشها. فالكتابة الليبية محلية لم يقتبسها سكان المغرب القديم من غيرهم من الشعوب، ويتجلى ذلك من خلال مراحل تطور الكتابة و انتشار نقوشها عبر مناطق مختلفة من المغرب القديم و أوسع من ذلك إلى غاية جزر الكناري، و إن كان هناك اختلاف في نمط الكتابة (عمودية أو أفقية) هذا راجع إلى التأثير ببعض الكتابات القديمة كالفنيقية. الكلمات المفتاحية: الالفبائية الشرقية؛ الالفبائية الغربية؛ التيفيناغ؛ الخط الليبي؛ الفن الصخري؛ الكتابة الليبية.

Abstract:

Writing is considered one of the most important discoveries of humanity, which is of great importance to preserving the cultural heritage, this confirms the antiquity of the use of this letter among the Berber groups that used to express their religious rituals and rituals, as indicated by the inscriptions and drawings spread in the region, which were the subject of many archeological studies, all of which were confirmed that Tifinagh underwent major transformations throughout the ages, to settle in its well-known form, We will try, through this article, to address the origin and development of the Libic writing over time and to mention the areas of its spread

The Libic writing is an original writing, especially that the Arabs did not quote it from other peoples.

Keywords: Eastern alphabet ; Libic manuscript ; Libic writing ; Rock art ; Tifinagh ; Western alphabet.

مقدمة

اللغة وسيلة تعبير ، و الكتابة عبارة عن وسيلة للحفاظ و التعبير عن اللغة ، و هما إرث حضاري يعبر عن كيان أمة ، فلم يكن بإمكان الإنسان اختراع الكتابة بدون التحكم في الصقل و التعبير الفني عن طريق الرسم و النحت و النقش و التجسيم و كذلك اكتساب الكلام و تطور طرق الاتصال و التعامل بين أفراد المجتمع.

و منطقة شمال إفريقيا لم تبقى على هامش المجتمع الإنساني من حيث اكتشاف الكتابة بل كان سكانها القدامى من مخترعي أحد أقدم الكتابات في العالم و هي الكتابة الليبية التي مرت في تكوينها بنفس المراحل التي عرفتھا المجتمعات في العالم، فاكتملت نشأتها في حدود نهاية الألف الثاني و بداية الألف الأولى قبل الميلاد، و أصبحت ذات نظام أبجدي كسائر الكتابات الأخرى.

فإن اختراع الكتابة يعد من أبرز التطورات الفاصلة في تاريخ الشعوب و الأمم، فتوصل الإنسان الليبي إلى هذا الاختراع يعد برهانا قاطعا على قدرته على إيجاد وسيلة تعبير و اتصال مكنته من تجاوز مرحلة ما قبل التاريخ و اللولج إلى العصور التاريخية بحيث أنهم أوجدوا كتابة خاصة بهم، و أصبحت عنصرا مميزا في شخصيتهم المحلية، و استخدمت هذه الكتابة من طرف الممالك الليبية و من طرف المواطنين، مثلما نجده في تكريس المعابد أو في شواهد القبور بالنسبة للمواطنين.

الكتابة الليبية محلية خاصة لم يقتبسها سكان المغرب القديم من غيرهم من الشعوب، و جاء تطورها بصفة محلية و يتجلى ذلك من خلال مراحل تطور الكتابة و انتشار النقوش عبر مناطق مختلفة من المغرب القديم و أوسع من ذلك إلى غاية جزر الكناري، و إن كان هناك اختلاف في نمط الكتابة (عمودية أو أفقية) هذا راجع إلى التأثير ببعض الكتابات القديمة كالفينيقية، فسوف نحاول في هذا المقال الرد على العديد من التساؤلات المتعلقة بالكتابة الليبية، تطورها و مناطق انتشار نقوشها.

أولا: ماهية الكتابة الليبية:

1. تعريف اللغة و الكتابة الليبية:

عرفت اللغة الليبية هي اللغة المشتركة لأسلافنا في المنطقة الممتدة بين سيوة شرقا و جزر الكناري غربا، ومن ضفاف البحر المتوسط شمالا حتى الأطراف الجنوبية لمالي و النيجر (حارش، 1995).

أما عن التسمية فهي قديمة عثر عليها في النصوص المصرية، حيث عثر على لوح "أردوازي" بأبيدوس يعود إلى الألف الرابعة قبل الميلاد عرف بـ "لوح تحنو" وجدت به أول إشارة إلى ليبيا أو الليبيين، كما عثر على أثر آخر يرجع إلى عهد الملك "نعرمر" يتمثل في اسطوانة عاجية نقش عليها اسم الملك و أمامه عدد من الأسرى "التحنو" (جيهان، 1985)

فعرفت الكتابة الليبية من خلال نقوش إهدائية و هي على شكلين الألفبائية الشرقية (التي تغطي إقليم طرابلس و تونس و الشرق الجزائري)، و الألفبائية الغربية (التي تتواجد في قالة و الكاف بتونس) و هذه الأخيرة تم فك رموزها بفضل وجود العديد من النصب المزدوجة و لها أربعة و عشرين رمزا ضمنها رمز غير مؤكد، وهو ما يؤكد أنه الأسقف فولجانيوس الذي يعد من أباء الكنيسة الكاثوليكية في المغرب القديم خلال القرن الخامس ميلادي و هو روماني من إفريقيا، كان الكاتب الوحيد الذي ذكر الألفبائية الليبية الذي تحدث عن ثلاثة و عشرين رمزا في الكتابة الليبية أما الألفبائية الغربية التي تعد أكثر تنوعا عن الرموز الشرقية (سعود، 2007)، تختلف الكتابة

الفنيقية و الإيبيرية رغم تقارب عدد الحروف فيها (حارش، مملكة نوميديا دراسة حضارية منذ أواخر القرن التاسع إلى منتصف القرن الأول ق.م، 2013) (الشكلين رقم 01 و 02) عند الكثير من اللغويين الذين يصنفون حروفها على أنها رموزا و يقولون رموز الكتابة عوض حروف الكتابة (قزال، 2007)

الحرف العربي	الحرف اللبني
ب	⊙
ت	↖ ↗
د	⌈
و	=
ز	— — —
ط	↘
ي	↗
ك	↖
ل	
م	⌈ ⌋
ن	⌈
ف	⌋
س	⌋ ⌋
ص	⌋
ق	÷
ر	○
ش	≈
ح	⌋ +

الشكل رقم 01: جدول الأبجدية الأفقية اللبينية الاتجاه من اليمين إلى اليسار

نقلا عن: J.B.CHABOT : Recueil des inscriptions Libyques, Imprimerie Nationale, Paris, 1941, p.5.

- مها عيساوي، المجمع اللوبي، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة منتوري قسنطينة، 2010/2009، ص.341.

الحرف العربي	الحرف اللبني
ب	⊙
ت	↑
د	⌈
و	
ز	I —
ط	
ي	N
ك	M ↑↑
ل	=
م	⌈
ن	⌈
ف	⌋
س	⌋
ص	⌋
ق	⌋
ر	⌋
ش	⌋
ح	⌋
ط	⌋
ي	⌋
ك	⌋
ل	⌋
م	⌋
ن	⌋
ف	⌋
س	⌋
ص	⌋
ق	⌋
ر	⌋
ش	⌋
ح	⌋

الشكل رقم 02: جدول الأبجدية العمودية اللبينية الاتجاه من الأسفل إلى الأعلى

نقلا عن : مها عيساوي، المرجع السابق، ص.343.

2. تطور الكتابة الليبية:

1.2 علاقة الكتابة الليبية بالفن الصخري: لم يستبعد المؤرخون أن تكون الرسومات الصخرية هي المرحلة الأولى للكتابة الليبية كمعظم الكتابات القديمة الهيروغليفية، السومرية و اليونانية القديمة، كما تم العثور على العديد من الرموز الشبيهة بالرموز الليبية منقوشة على الرسوم الصخرية في الصحراء خاصة في بلاد الجرامينت و الطاسيلي ، اعتبرت الرسوم الصخرية صحيفة يومية من صنع الإنسان المغاربي القديم من مرحلة ما قبل التاريخ دون فيها سيرة حياته اليومية كما تعتبر كتابة تصويرية متميزة في مواضيعها و تقنية تنفيذها (العيساوي، 2009-2010).

و رغم هذا يعتقد أهل النظريات الكلاسيكية أن الكتابة الليبية البربرية بدأت مباشرة بالحروف الأبجدية و لم تعرف فترة ما قبل الأبجدية لذا ينسبونها إلى الأصل الفينيقي، لكن نظرتهم تتنافى من المنطق لأنه لا يمكن أن يلجأ الليبيون لتبني حروف أجنبية و الاستغناء بسهولة عن تعبير خطي توارثوه منذ أمد طويل و يستعملونه في التعبير الفني و الزخرفة و تحديد علامات الملكية، فهناك احتمال وجود فترة انتقالية بين الفن الصخري و الكتابة و التي مهدت للنظام الأبجدي (عباسي، 2004/2005).

2.2 استمرارية الخط الليبي:

لقد مرت الكتابة في المغرب القديم بمراحل مهمة، بعد أن كان الفن الصخري في البدايات الأولى للفن، و بهذا التطور تدخل مرحلة جديدة من الإنتاج الفني و يستقر أسلوب جديد مبدأه التخطيط بقاعدة هندسية الأشكال للكتابة الليبية المستمدة من النقوش المحتوية على رموز مشابهة للأبجدية الليبية، و نجد نقوش ذات كتابة ليبية قديمة مثلا التي توجد في موقع ترفانة (Tarfana) بعدها تليها نقوش في مرحلتها الثانية رموز ليبية تشكل مجموعة خاصة من الرسوم المنقوشة (ستيفان، 2007)، و تجلت في نقش إهداءات أو تسجيل رسائل قصيرة كتبت على صخور غالبا ما تكون من الحجر الرملي أو تنجز على مزهريات، الخشب، الجلد أو النسيج، تمثلت خصائصها الزمنية و المكانية في أنها نتاج فني ثقافي لشعوب نهاية الباليوليتي بالشمال الإفريقي أو عصر الانتقال من الباليوليتي و النيوليتي إلى العصر القديم.

1.2.2 النقوش الليبية-البربرية:

محتوى هذه الكتابة أدرجت ضمن المواضيع المنقوشة و المرسومة منذ أقدم فترات الفن الصخري بشمال إفريقيا ابتداء من أواخر فترة البقريات و طوال فترة الأحصنة، فقد ساهم هذا الرصيد من الرموز الهندسية المتوارثة عبر الأجيال منذ البداية في تكوين جميع أشكال الفنون و الزخرفة التقليدية مثلا الحيوانات تمثل بأساليب تخطيطية تستعمل فيها الخطوط المنكسرة (عباسي، 2004/2005)

إن مجموعة من الباحثين الأثريين المغاربة و على رأسهم مليكة حاشيد، سالم شاكرو و سليمان حاشي، حاولوا النظر في الفن الصخري و فحص المكتشفات الأثرية في الصحراء من جهة، و التاريخ القديم للأبجديات في البحر المتوسط من جهة أخرى، حيث أنهم انطلقوا من محاولة الإجابة على التساؤل حول وجوب النظر إلى عملية تطور داخلي للكتابة الليبية من خلال مراحل الفن الصخري، و بالتالي أن أصل الكتابة الليبية محلي.

و أهم الملاحظات التي يمكن التوصل إليها هو أنه في الأطلس الصحراوي الملاحظ على النقوش الصخرية أنها كانت لاحقة لمرحلة العربة و الحصان، أما في الطاسيلي ناجر فإن اكتشاف العربة و الحصان و عصر الكتابة و المعدن قد بدت بوضوح أنها تطورت في نفس الوقت كثنائية، لذلك فإن نقوش الأطلس الصحراوي تحتوي رموز للكتابة مرتبطة بمرحلة العربة و الحصان و سمحت بربطها بألفبائية غربية مع رموز صحراوية، هذه النقوش الهندسية

للأطلس الصحراوي نجدها شيئا فشيئا تميل إلى أن تكون هندسية و تصل المرحلة الليبية-البربرية تدريجيا إلى طريق التجريد، حيث أن مواضيعها هي رسوم ذات زخارف مستقيمة ظهرت منذ مرحلة الحصان و تعددت بشكل خاص خلال مرحلة الجمل، و هي نفس الأشكال التي نجدها اليوم في الفنون الشعبية، و هكذا فإن مع فجر التاريخ و التاريخ اختفت الرسوم و اجتاحت الأسلوب الهندسي المخابى الصحراوية شيئا فشيئا حتى أصبح تخطيطا كتابيا (Graffiti) وكتابة جدارية (hachid, 2001).

2.2.2 استخدام التفيناغ ومجال توزيعها:

يقول سليم شاكر أن التفيناغ سبقت النقوش الترقية القديمة أو الصحراوية و هذه النقوش تعود للقرون الأولى للميلاد (Chaker, 1995)، التفيناغ الأصلية تمثل إرثا من القدامى، حيث مازالت تستخدم من طرف الطوارق حسب القواعد العامة التي تخص نظامها، تحتوي رموز هذه الأبجدية على أحرف بسيطة تتنوع ما بين 22 إلى 27 حرف، اتجاهها متغير حسب اختيار ناسخها أو المادة و الداعم لها أو المساحة المتوفرة لكتابتها، فنجدها عموديا من الأسفل إلى الأعلى، أو من اليسار إلى اليمين، أو حتى نجد تغيير لاتجاهها بدون انقطاع للكتابة في نفس النص، مثال من اليسار إلى اليمين ثم من اليمين إلى اليسار، أو من الأسفل إلى الأعلى ثم من الأعلى إلى الأسفل (Said, 2007).

لم تختفي الكتابة الليبية مع نهاية العصر القديم، سواء في الأطلس الصحراوي أو في المغرب الأقصى أو في طرابلس و برقة و في الصحراء، ذلك أن نقوشا صحراوية نقشت بشكل منقط ترافق في الغالب صور الجمل و التي لم يكن بإمكانها أن تتواجد قبل القرن الثالث أو الرابع ميلادي، واستمرت هذه الأبجدية إلى اليوم في الصحراء بين الطوارق و هي كتابة التفيناغ التي عرفت بشكل خاص عند النساء، تقتصر كتابة التفيناغ على نقوش قصيرة مرسومة أو منقوشة على الصخور، مخطوطة على أساور أو على دروع من الجلد، و رغم أن الكتابة الليبية قد تراجع استخدامها منذ القرن الثامن ميلادي إلا أنها في الواقع استمرت مع التفيناغ إلى اليوم، هذه الأخيرة التي يقول عنها المختصون بأن لها وظيفة أساسية لغوية تتمثل في رسائل حب أو ألعاب لغوية، بالإضافة إلى أن وظيفتها رمزية تحتوي علامات ملكية أو امضاءات، لكن استخدامها ظل بشكل كبير مقتصر على تحرير رسائل قصيرة فهي لم تستخدم لتثبيت الذاكرة التاريخية و الأدبية للطوارق و الليبيين لكنها بالمقابل استغلت قيمة اجتماعية رمزية (ستيفان، 2007).

أما مجال توزيعها في شكل نقوش فإننا نجد في وجهة نظر الأنثروبولوجية الثقافية بأن التفيناغ قد اعتبرت من المجتمع ككتابة وطنية و حتى شمال إفريقيا لأنه لوحظ اتساع استخدامها، من ليبيا إلى الساحل الأطلسي، و من البحر المتوسط إلى الجنوب، فهذه الأبجدية القديمة لديها ما يكفيها من دلائل امتدادها و توزيعها في كل بلاد المغرب، و حتى و إن كانت كثافة نقوشها قليلة أو منعدمة في الشمال فإن منطقة الصحراوية مجال تواجد الطوارق غنية بنقوشها (bilek, 2007).

3.2 أهم نماذج للكتابة الليبية المكتشفة:

تتواجد النقوش الليبية في كل شمال إفريقيا و بالصحراء من شبه جزيرة سيناء عبر مصر السفلى، و قورينا و طرابلس حتى أرخبيل الكناري بالمحيط الأطلسي، و بجنوب غرب إفريقيا و أرخبيل الرأس الأخضر في نهر السنغال أي أنها شملت المجال الجغرافي الذي وجدت فيه اللغة الليبية.

فترة اكتشاف نقش دوقة الأول:

من القرن السابع عشر (1631م) إلى أواخر القرن التاسع عشر (1887م):

يعد نقش دوقة من أشهر الاكتشافات للكتابة الليبية و هي على شكل نقش مزدوج (ليبي بونيقي) تم تكريسه لإنشاء ضريح للملك مسينيسا من طرف ابنه مكيبسا في السنة العاشرة من حكمه و يعود هذا النقش إلى القرن الثاني ق.م. (حارش، 1995)

أولى النقوش عثر عليها سنة 1631م بدوقة التونسية على يد "توماس داركوس" و بقيت طوال قرنين من الزمن إلى غاية معيء القنصل الإنجليزي "توماس ريد" الذي أخذ النقيشة المزدوجة إلى بلده و التي حولت بعد وفاته إلى المتحف البريطاني، و بقي الأمر على حاله إلى غاية 1843 أين تم فك رموز النقيشة من طرف العالم الفرنسي F De Saulcy والذي يرجع له الفضل في قراءة الكتابة الليبية و التي تتكون من 26 حرف إضافة إلى تاريخ النقيشة التي ترجع إلى 138 ق.م (عباسي، 2004/2005)

كما أشار F. Batri إلى اكتشاف نقشين ليبيين بمصر (حارش، 2013) و عثر أيضا على العديد من النصب الليبية-البونيقية الجديدة أو الليبية-اللاتينية و استمرت إلى نهاية العصور القديمة ما يعرف بالنقوش الليبية-البربرية التي يعثر عليها في مختلف مناطق البلاد المغاربية: الجنوب الوهراني، المغرب الأقصى، إقليم طرابلس و برقة و في عدة أماكن بالصراء و هي النقوش التي تقدم شكلا من الكتابة الانتقالية بين الكتابة الليبية القديمة و الكتابة التيفيناغية المشتقة منها.

عثر على ألف و ثلاثة و سبعين (1073) نقش من ضمن الألف و مئة و أربعة و عشرين (1124) نقش من النقوش التي نشرها "شابو" كما تم اكتشاف سبعا و عشرين (27) نقشا في المغرب و حوالي خمسين (50) في الجزائر إلى الغرب من سطيف و عشرة (10) نقوش في منطقة القبائل.

في سنة 1822 قام "د.أوديني" بنقل قائمة حروف التيفيناغ لأول مرة في التاريخ و ايصالها إلى الأوساط العلمية. -في سنة 1840-1867 تم جمع العديد من النقوش الليبية من طرف ضباط الجيش الفرنسي و الموظفين و كذا الرواد الأوائل.

-1845 تحصل "بواصو" على نسختين من قائمة حروف التيفيناغ التي أتى بها طالب زاوية من منطقة الوات فاستعملها الباحث للمقارنة بين الحروف الليبية و حروف التيفيناغ.

-1847 نشر "جوداس" دراسة تطرق من خلالها إلى تراكيب اللغتين الفينيقية و الليبية.

-1860 نشر "هانوتو" دراسة حول مساهمة لغة التيفيناغ.

-1863 صدر عن "أ.جوناس" دراسة تعرض فيها بصفة دقيقة إلى اللغة و الكتابة الليبية و اقترح تسميتهما الليبية-البربرية.

-1864 نشر "دو فييري" دراسة وصفية لكل مجالات الحياة عن طوارق الهقار و الطاسيلي بما فهمها اللغة و الكتابة.

وتبقى مجمل هذه الدراسات سطحية إلى غاية 1868 حيث بدأ "جوداس" بنشر مجموعة 34 نقيشة ليبية تم اكتشافها من طرف د.ريبو بالشرق الجزائري.

-1867 اكتشفت 100 نقش من طرف "ريبود" الذي أصدر مصنفة للنقوش الليبية (Recueil des inscriptions libyques 1870)

- كما نشر "فايد هرب" مجموعته الكاملة للنقوش الليبية
(Faidherbe, collection complète des inscriptions numidiques)
- اكتشفت نقوش جديدة في سنوات 1874-1887 تم نشرها في نشرية الآثار للجمعية (BACTH) و مصنف
مجموعة الأعمال الأثرية لقسنطينة (Recueil de la notice et mémoires de la société d'archéologie de la province de Constantine)
- بعد وفاة "صولسي" أقيمت عدة محاولات لفك الرموز الليبية من طرف الباحثين
فترة بعد نقش دوقة الثاني:
من القرن العشرين إلى يومنا:
- بداية القرن العشرين (1904) تم اكتشاف نقش ثوقة المزدوج الثاني من طرف صادو (M.Sadoux)
 - اكتشف بول روداري (M.Paul Rodary) واعوانه حوالي ستمائة (600) نقش في الفترة ما بين (1932-1939) (حارش، 2013)
- عثر أيضا على نقوش ليبية في جبل سيناء و يرجح أنه نقش خطته يد مسافر أو منفي، واكتشفت أيضا نقوش
صخرية من جزر كناريا.
- أما في بلاد القبائل الكبرى عثر على أنصاب حجرية عليها محاربون يقفون على أقدامهم أو يركبون الفرس في
الغالب، و هي نقوش تصاحبها كتابات ليبية قصيرة.
- بين 1932 و 1939 تم اكتشاف أكثر من 600 نقيشة بسوق أهراس بالجزائر من طرف "بول رودري" و
هو مفتش الري و الغابات رفقة أعوانه.
- و تبعتها عدة محاولات من طرف "ج.فيفري"، "أ.بسيث"، "ل.غالون"، "سالم شاكور"، "غابريال كامبس"... إلخ
- 1940 نشر شابو أحد أكبر و أبرز الأعمال "مجمع الكتابات الليبية" يحتوي على 1125 نقيشة بشمال
إفريقيا و الذي يعد مصدرا مهما في أعمال البحث حول الكتابة الليبية.
- انشغال الباحثين بفك رموز الكتابة الليبية لم يرق إلى المستوى المطلوب و يرجع الباحث "سالم شاكور" الأمر إلى
عدة أسباب أهمها:
- تعد هذه النقوش المصدر المادي الأول الذي يؤكد أن المغاربة قد عبروا عن لغتهم المحلية برموز كتابية و قد
جمعت و صنفت النقوش المكتشفة بين (1887-1940) في ديوان النقوش الليبية للأب "شابو" الذي درس 1125
نقش، دراسة تاريخية و لغوية متميزة حيث جمع جميع أعمال الباحثين الذين سبقوه الذي أصبح مصدرا مهما لا
يستهان به في دراسة مثل هذه الأعمال المتعلقة بالكتابة الليبية-البربرية.
- ندرة الأعمال التي اتبعت منهجية علمية في ميدان اللغة الليبية باستثناء أعمال "غالون" و "شابو".
 - طول المجال الزمني الفاصل بين الكتابة الليبية و اللهجات الحديثة.
 - معرفة البربرية الحالية و قواعد نحوها بالخصوص.
 - فقر الكتابات إلى المعلومات اللغوية و أصبح مضمونها يقتصر على بعض الأسماء و المصطلحات
العقائدية (Samia, 2002)
 - معظم الباحثين الذين أنجزوا الأعمال ليسوا متخصصين في الميدان فأغلبهم عسكريين و إداريين
(Samia, 2002).
 - مشكل الأبجدية الليبية الصوائب و الصوامت.

أما في ميدان أعمال اللغة الترقية نشرت أعمال "شارل دو فوكو" 4 أجزاء لقاموس ترقية فرنسية يتناول فيه جميع قواعد لغة سكان المنطقة و معلومات عن حياتهم، عاداتهم و الذي يعد من أهم المراجع في موضوع اللغة و الكتابة الليبية.

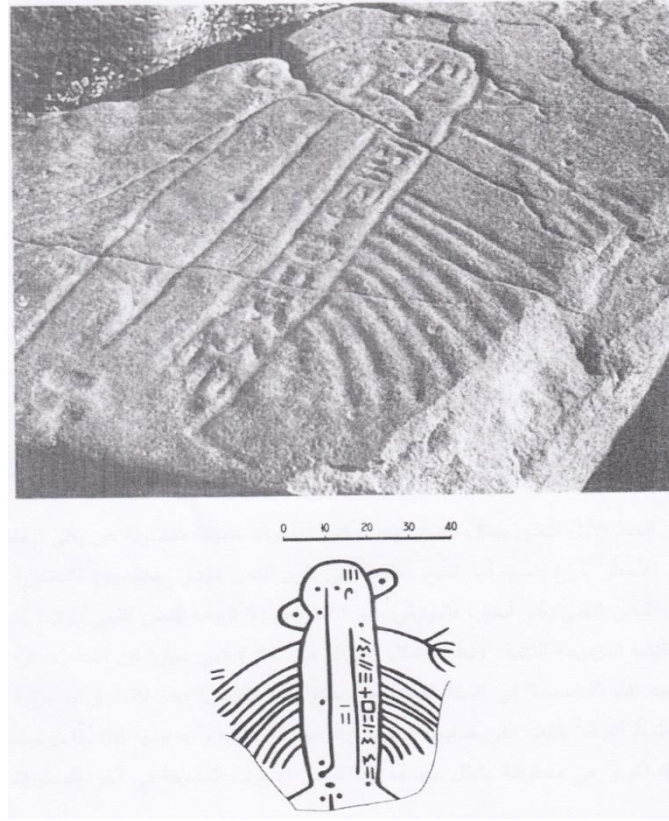
- في أواخر 1959 نشر "ج.فيفري" أبحاث في ميدان تاريخ الكتابة و خصص كتابه الذي يعتبر أحد المصادر المتينة في معرفة أصول الكتابة و خصص فيه فصلا كاملا للكتابة الليبية.
- في 1960 نشر "قالون" مجمع للكتابات الليبية و هو تكملة لأعمال "شابو"، "كارل براس" له أيضا عمل في هذا الميدان،
- لقد تم تسجيل أعمال كانت تكملة للسابقة و لكنها لا تقارن بالأعمال التي أنجزت خلال التواجد الفرنسي بالجزائر، فخلال السبعينات قاما "ج.دروين" و "محمد أغالي زكارا" بانجاز عدة أعمال تخص تفيناغ منطقة 'اير' لدى الطوارق حول قواعد اللغة و الكتابة الليبية الصحراوية، الباحث "سالم شاكور" و منذ السبعينات شرع في أعمال علمية في مجال فك رموز الكتابات الصخرية و فهم التراكيب اللغوية لهذه الكتابة (عباسي، 2004/2005).
- منذ 1978 تم اكتشاف مهم و يتعلق الأمر بتوصل "غابريال كامبس" إلى تاريخ نقيشة عثر عليها بـعزيب نكيس' بالمغرب أرخت بحوالي 500 ق.م، و خلال سنة 1996 بعد استكمال الدراسة حول النقيشة استنتج أن تاريخها يعود إلى ما قبل القرن السابع ق.م، وفي نفس السياق يرى مجموعة من الباحثين في مجال الفن الصخري الصحراوي على غرار "هنري لوط" "مليكة حشيد" و "كريستيان دوبيوي" أن بعض الكتابات الصخرية لا يمكن فصلها عن نقوش و رسومات فترة الأحصنة التي ترافقها فمن الممكن جدا أن تكون تعود إلى هذه الفترة التي يتفق الجميع على أنها تبدأ في حوالي 1500 ق.م،
- و أهم مشروع حاليا هو جمع الكتابات البربرية في بنك معلومات فصد الوصول لتحديد مجمع الكتابات و ضبط محتواه على ضوء التقنيات و الدراسات و الاكتشافات الحديثة من طرف باحثين بجامعة السوربون تحت إشراف "قالون" و "دروين" (عباسي، 2004/2005).

1. الرسم الصخري بالعزيب ن-ايكيس:

لقد جاءت اكتشافات جديدة بالمغرب الأقصى في الأطلس الأعلى تمثلت في وجود أقدم كتابة ليبية (الشكل رقم 03) و هي عبارة عن رموز كتابية وضعت عموديا على شكل بقايا عظمية آدمية مرسومة على صخور (فرحاني، 2007)، لفت هذا الرسم نظر "كامبس" إذ يرى أن الرسم الصخري بالمنطقة لعزيب ن-ايكيس بالأطلس الأعلى، و اعتمادا على القرائن الأثرية، يمكن أن يعود إلى ما قبل القرن السابع – الخامس قبل الميلاد على أقل تقدير، و هو نقش يحتوي على خمس عشر أو ستة عشر رمزا ليبيا برموز الكتابة الغربية (حارش، 2013).

ما قاله "غابريال كامبس" عن هذا النقش كونه الأوضح، حيث يقول "اكتشاف نص نقوشي ليبي بالأطلس الأعلى في المغرب، ثبت أنه الأقدم بين كل النقوش الليبية، و هذا النص عبارة عن سلسلة من الرموز ذات شكل ألفبائي (ALPHABETIFORME) واضح في وضع عمودي مكتوب فوق صورة شخص مرسومة على صخر بجبل 'أوكايمدن' (OUKAIMEDEN) و يتبين من تركيب الصورة ومظهرها دون ريب أن النص النقوشي و الشخص المرسوم كانا متعاصران، أما بالنسبة لمميزات الصورة و أسلوب رسمها فيستنتج أنها تنتمي دون شك إلى مجموعة الأطلس الأعلى من الرسوم المؤرخة بعصر البرونز" (كامبس، د.ت)

لقد أكتشف الرسم الأول سنة 1959 من طرف "مالوم MALHOMME" الذي يقول " إن موقع النقيشة و الإطار المتواجدة فيه و التقنية المستعملة في النقش و تفاصيل طرازها، كل ذلك يمكن لنا القول أنها من عهد البرونز الثاني " و هي تتشكل من سطرين عموديين تم فك رموزها، أما الرسم الثاني بنفس المنطقة فهو يتشكل من ثلاث أسطر عمودية تمت ترجمتها.(Malhomme, 1960)



الشكل رقم 03: نقش لعزيب ن-ايكس الأطلس الأعلى بالمغرب، اكتشفه مالوم

نقلا من: Encyclopédie berbère, 17/1996

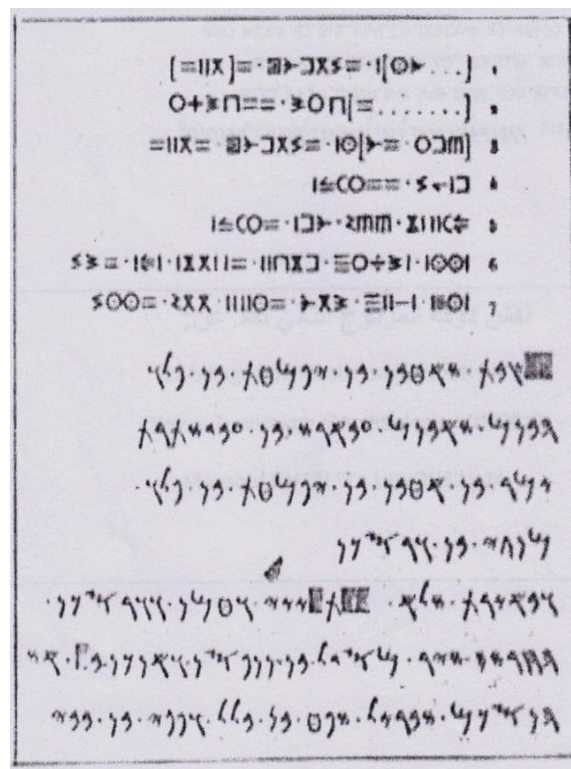
2. نقشي دوقة:

بعد نقش "دوقة" أو "ثوقة" (Thugga) غرب تونس أول نقشا ليبيا مزدوجا (ليبيا-بونيقييا) اكتشفت في القرن السابع عشر (1631) من طرف القنصل الإنجليزي "توماس داركوس" (Thomas D'Arcos)

أعطت بقاياها أطول و أهم النصوص البنية و بالأخص النقيشتان اللتان تحملان نص مزدوج سمح بفك الرموز الليبية، فنص النقيشة الأولى (الشكل رقم 04) هو عبارة عن كلمة إهدائية منقوشة على الواجهة الشرقية لمعبد حطمه القنصل الإنجليزي "توماس ريد" (Thomas Read) عند نزعه للوحة سنة 1842 و هي الآن محفوظة في المتحف البريطاني.

كتب نص هذه النقيشة على صفيحتين حجريتين ارتفاعهما 0.70م موضوعتان جنبا إلى جنب أفقيا، عرض اللوحة الأولى 0.99م نقش عليها النص الليبي و الثانية عرضها 1.14م نقش عليها النص البوني، هذا الأخير بقي كاملا بينما نزع الخطوط الثلاثة الأولى للنص الليبي.

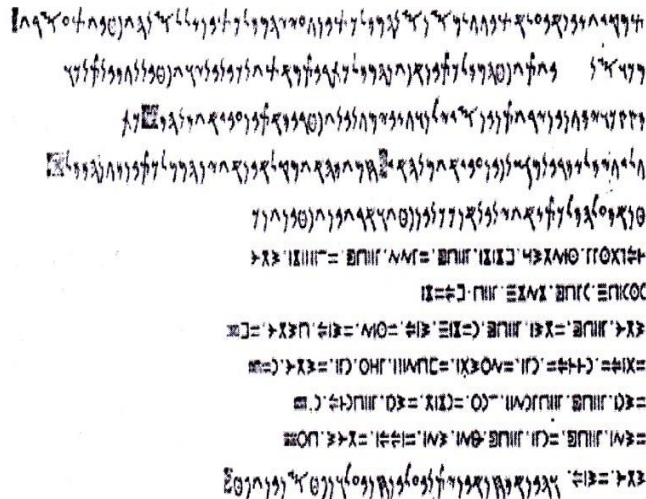
إن الخط الأول للنص يشكل العنوان و هو مكتوب بأحرف سميكة مفصولة عن باقي الخطوط أو الأسطر بفراغ واسع، أما السبع خطوط التي تكون النص فتبدي تطابقا بين الكتابتين، كما أن النص الليبي يبدو أسبق، فالبونيقي يبدو أنه ليس إلا ترجمة للنص الليبي (CHABOT, 1941)، وفيما يخص النقيشة المزدوجة الثانية (الشكل رقم 05) فهي عبارة عن كلمة إهدائية من معبد أقيم لـ "ماسنيسا" في السنة العاشرة من حكم ابنه "مكوسن" سنة 139 ق.م، مرتبة في خطوط أفقية (حارش، 1995)، كتبت على صفيحة حجرية ارتفاعها 0.33م وعرضها 0.68م و سمكها 0.45م وهي محفوظة بشكل جيد ما عدا بعض الأحرف المشوهة في آخر السطور، اللوحة الأصلية محفوظة في متحف البارود بتونس و نسخة منها في متحف اللوفر بباريس، تشغل أعلى اللوحة الأسطر الخمس للنص البونيقي تليها جملة أخيرة بونيقية ليس لها جملة مطابقة في النص الليبي، و يلاحظ أن الكلمات الليبية مفصولة عن بعضها بنقاط موضوعة أعلى السطر خلافا للبونيقية التي لا تضم أي علامة فصل بين كلماتها (CHABOT, 1941).



الشكل رقم 04: نقش دوقة المزدوج الأول

نقلا عن: Revue Tunisienne d'Archéologie n°01/2013

Mansour ghaki « le LIBIQUE » p.25.



الشكل رقم 05 : نقش دوقة الثاني

نقلا عن : La bilingue de Massinissa (Chabot, RIL2)

Revue Tunisienne d'Archéologie n°01/2013

Mansour Ghaki « LE LIBYQUE » p.24.

3. نقش جزيرة الهيرو بأرخبيل الكناري:

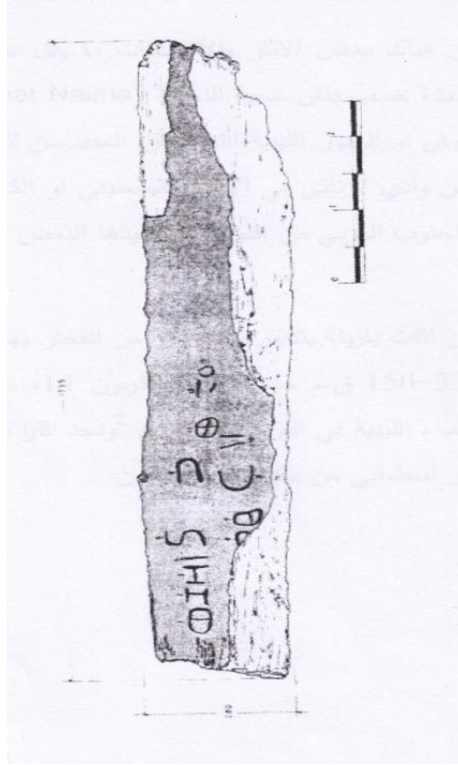
نقش ليبي يحتوي على ثلاثة عشر رمزا برموز الكتابة الغربية، يعود إلى القرن العاشر في رأي الدارسين له من الاسبان (حارش، 2013)، (الشكل رقم 06)

الدليل الأثري الوحيد على وجود مجموعات في جزر الكناري، يتم توفيره من خلال النقوش الأبجدية بالحروف الليبية، حيث تم قبول وجود روابط مباشرة بين هذه الكتابات و اللغة البربرية بالإجماع تقريبا، هذه الوثائق الكتابية (E.B & J) و معظمها ذات طبيعة صخرية، تم توثيقها الآن في جميع الجزر على الرغم من أننا لا نملك حاليا مجموعة شاملة من النقوش الكنارية، فقد تم ربطها دون تردد بكتابات Libyco-Berber Saharan، تقارب بعض الشخصيات نقوش الجزيرة من نص الطوارق الحالي، بينما يربطها البعض الآخر بأبجدية الطوارق القديمة بدلا من الصحراء الغربية.

على الرغم من المشاكل الزمنية المعقدة المرتبطة بالأبجديات الصحراوية، فمن المؤكد أن تيفيناغ الحالية معروفة قبل القرن الخامس ميلادي، و لكن يبدو أن إدخال هذه الأبجدية في الصحراء يعود إلى ما لا يقل عن القرن الأول قبل الميلاد، بالنسبة إلى التسلسل الزمني لنقوش الكناري الليبية-البربرية، يبدو أن طابعها المتأخر على ما يبدو من وجهة نظر قد تم اعتماده من خلال تاريخين بتقنية C14 يقع بين القرنين الثامن و العاشر ميلادي.

تأتي هذه التواريخ من موقع دفن في جزيرة El Hierro، كهف Hoyo de los Muertos، الذي ترقد جثته على نقالات مصنوعة من مجموعة من الألواح الخشبية (الشكل رقم 6)، إحدى هذه اللوحات تحمل عدة علامات لبيبكو-بربرية محفورة، يتوافق التأريخ المطلق لهذا النقش مع التسلسل الزمني الحديث الذي اقترحه بعض المؤلفين، كفرضية لظهور المجموعات الأولى الناطقة باللغة البربرية، كما أنه يعزز إعادة البناء اللامع الزمني، و هو أمر مثير

للاهتمام ومع ذلك لا يزال يتعين توضيح دور السكان المغاربة الذين وصلوا إلى جزر الكناري منذ القرن الخامس عشر، في مجال الأدلة الكتابية Libyco-berber، خاصة فيما يتعلق بالجزر الشرقية حيث كان تركيزهم مهما للغاية في مستوطنة كنارية قديمة كانت في الأصل أمازيغية (E.B & I).



الشكل رقم 06 : نقش ليبي عثر عليه في جزيرة الهيرو بأرخبيل الكناري

Inscription sur un « Chafasco » (brancard funéraire) de la nécropole d'EL HOYO de Los Muertos, ile de Hierro (Canaries), d'après D.Cuscoy et L.Galand

Encyclopédie berbère, 17/1996.

منه نستنتج أن هناك بعض الآثار و الاكتشافات ما يدل على أن الكتابة الليبية قد تعود إلى فترة قديمة جدا حسب نقش شعبة النعيمة (Chabat Naima) إلى الجنوب من ولاد جلال، و كذا النقوش و الرموز الليبية التي ترافق العديد من الرسوم الصخرية مثل خنقة الحجار إلى الشرق من وادي الزناتي في الإقليم القسنطيني أو الكاف المكتوبة (Kef El Maktouba) إلى الجنوب الغربي من أفلو التي يعيدها البعض إلى ما القرن الخامس عشر ق.م، كما عثر ضمن أثاث بازينة ب'تديس' على أنية من الفخار عليها نقوش ليبية (G.M.R)، تعود إلى ما بين 350-150 ق.م حسب نتائج كربون 14، مما يؤكد قدم تلك النقوش و يبعد فكرة ابتكار الألفباء الليبية في القرن الثاني ق.م (حارش، 2013)، و نجد آثار معزولة منقوشة على عنق جرة ببطن مكورة وعنق أسطواني من مقبرة جزيرة رشقون.

خاتمة:

إن سكان شمال إفريقيا قد خلفوا أثرا لهم في مسار الحضارة الإنسانية بابتكارهم كتابة محلية خالصة تأقلمت وتكيفت مع مقتضيات محيطهم الجغرافي الجديد.

كما تركوا لنا صورة و إن لم تكن واضحة عن نمط حياتهم من خلال ما نقشوه من نصوص إهدائية و جنائزية، فقد لاحظنا أن الكتابة غالبا ما كانت ترتبط بالمعتقد و إن دل هذا على شيء إنما يدل على المكانة العالية التي اكتسبها هذا النمط من التعبير خاصة و أن الفكر في التاريخ القديم كان فكرا دينيا بالدرجة الأولى و نحن نعتقد أنه و مع تزايد الاكتشافات و البحوث، و مع ما تم فكه من رموز الكتابة الليبية على وجه الخصوص، فسنتمكن من التعرف أكثر عما كانت عليه الحياة آنذاك.

و من بين أهم النتائج التي توصلنا إليها:

-إن معظم النظريات التي طرحت حول أصول الكتابة الليبية ما زالت تنقصها الأدلة الموضوعية سواء التي تدعي الأصول الأوروبية منها أو الشرقية.

-بدراسة مراحل تطور الكتابة الليبية و انتشارها في الزمان و المكان يمكن القول أنها مشتقة من تلك الرموز التي تظهر مرفوقة مع بعض الرسوم الصخرية التي تعود بعضها حسب آراء العديد من الباحثين و المهتمين إلى الألف الثانية ق.م، و هي فترة بعيدة زمنيا لم تكن فيها البلاد المغاربية على صلة مع بلدان البحر المتوسط (الفنيقيين، الإغريق والرومان) مما قد يدعم هذا الرأي.

-ما هو مؤكد حاليا هو وجود كتابة ألبائية ليبية و ذلك منذ القرن السادس أو القرن السابع قبل الميلاد، و من المرجح أن يكون تواجدها إلى أبعد من ذلك حيث أن مشكل تأريخ بعض الكتابات لا يزال مطروحا كما أن الاكتشافات و الدراسات الميدانية في هذا المجال قليلة جدا.

-كانت النقوش المزدوجة (الليبية-البونيقية) التي عثر عليها في 'دوقة' بالخصوص هي المفتاح الذي مكن من فك رموز الكتابة الليبية، و ذلك اعتمادا على أسماء الأعلام في اللغتين.

-وجود النقوش المرفوقة بالرسوم الصخرية قد يكون عامل تعبر عن تلك المشاهد، و هو ما يمكننا من معرفة الحياة اليومية لسكان المناطق الموجودة في تلك النقوش و الرسوم.

-من توزع النقائش ذات الكتابة الليبية يمكننا القول أنها كتابة ريفية أكثر منها مدنية، نظرا لكون النقائش ذات الكتابة الليبية القديمة أي الغربية التي لم تتأثر بالكتابة البونيقية الأكثر انتشارا في المناطق الداخلية و الصحراوية للمغرب القديم.

-وجود الكثير من تلك النقوش على النصب و شواهد القبور و المرفوقة أحيانا بقرص الشمس، يبين الجانب الديني الذي كان الليبيون القدامى يولون له أهمية في حياتهم اليومية.

-استعملت الكتابة الليبية القديمة بصورة مميزة تكاد تكون حصرية في الكتابات الجنائزية و هذا أمر لفت انتباهنا و جعلنا نتساءل إن لم تكن للرموز المستعملة كأحرف دلالة دينية أو نوع من القداسة يحد من استعمالها في مجالات الحياة الأخرى، علما أن بعضها استعمل من قبل في الوشم على الجسد للوقاية من الأمراض و إبعاد الأرواح الشريرة حسب المعتقدات الدينية آنذاك، و نحن نعتقد أنه يجب البحث عن معاني تلك الرموز فمن المحير أن تكون لليبيين كتابة ألبائية و لم تفرز الحفريات إلا على الكتابات ذات الطابع الديني أو الجنائزي.

-استمرار الكتابة الليبية إلى اليوم في شكلها الجديد (التيفيناغ) دليل على تغلغلها في صفوف السكان رغم ما نحس به من تخلي الملوك النوميدي باستخدام الكتابة البونيقية في أحيان كثيرة.

-تعد الكتابة العمودية الأصل في الكتابة الليبية التي كانت تكتب أيضا من الاتجاه الأفقي من اليمين إلى اليسار في النقوش المزدوجة الليبية-البونيقية، و من اليسار إلى اليمين في النقوش الليبية-اللاتينية، مما يوحي أنها كانت تكتب في هذين الاتجاهين تماشيا مع ما هو موجود معها في النقوش، و هنا يشهد على مرونة هذه الكتابة.

-يلاحظ وجود بعض الرموز في إحدى الألفبائيات لا نجدها في الأخرى، و نحن نعتقد أن هذا التنوع دليل على قدم الكتابة و اتساع النطاق الجغرافي الذي استعملت فيه.

-كما ذكرناه سابقا فبعد اطلاعنا على آراء و رغم تحفظات قلة قليلة من الباحثين فبالإمكان القول أن الكتابة الليبية محلية خالصة لم يقتبسها سكان المغرب القديم عن غيرهم من الشعوب، فإن كان الأمر مغاير ذلك فإنه كان من الأجدر و الأبسط أن يكون الاقتباس من الكتابة المصرية القديمة التي كانت الأقرب و الأكثر تطورا و رقيا أو من الحضارة الإغريقية، لكن هذا لا يمنع من وجود تأثير بالكتابة الفينيقية على الساحل الشرقي للمغرب القديم من أمراء و ملوك الماسيل.

قائمة المراجع:

Bilek, h. (2007, mars 22). *le libyco-berbère ou le tiffinagh: de l'authenticité à l'usage pratique* , 13. alger: H C A.

CHABOT, J. (1941). *Receuil des inscriptions libyques*. paris: imprimerie nationale.

Chaker, S. (1995). *données générales sur le libyque*. alger: enage.

E.B, & J, O. P. (s.d.). C16 Canaries (iles). *encyclopédie-berbère* , pp. 1731-1755.

hachid, M. (2001). *les premiers berbères entre Méditerranée Tassili et Nil*. Alger, Algérie: Ina-Yas.

Joseph, B. D. (1899). *Essai sur la répartition des premiers colons de souche Européenne dans l'afrique du Nord mins la Tunisie actuelle* (Vol. 6). paris: Ernest Leroux .

Malhomme, C. J. (1960). inscription des Azibs -N-IKKIS. *B.A.M* , T4, pp. 411-417.

Said, T. (2007, mars 21-22). *l'écriture Libyco-berbère, Etat des lieux et perspective*. 143.

Samia, A. A. (2002). *etude descriptive des inscriptions libyques de la grande kabylie*. 22. algérie: université mouloud mammeri.

جابريل كامبس. (د.ت). *ماسينييسا*. (العربي عقون، المترجمون) المجلس الأعلى للغات.

ديز انج جيهان. (1985). *علاقات البربر الأصليين و شعوب البحر عن تاريخ إفريقيا العام* (المجلد 2). حين أفريك ليونيسكو.

ستيفان قزال. (2007). *تاريخ شمال إفريقيا القديم* (المجلد 6). (محمد التازي سعود، المترجمون) المغرب: مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية.

عبد الجبار عباسي. (2005/2004). *الكتابة الليبية من خلال الفن الجداري الصحراوي دراسة أثرية لمجموعة من الكتابات الصخرية في محيطها الطبيعي*. 199. الجزائر.

فتيحة فرحاني. (2007). *نوميديا من حكم الملك جايا إلى بداية الإحتلال الروماني 213 ق.م-46 ق.م*. الجزائر: أبيك.

محمد الهادي حارش. (1995). *التاريخ المغربي القديم السياسي و الحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي*. الجزائر: المؤسسة الجزائرية للطباعة.

محمد الهادي حارش. (2013). *مملكة نوميديا دراسة حضارية منذ أواخر القرن التاسع إلى منتصف القرن الأول ق.م*. الجزائر: دار هومة.

مها العيساوي. (2010-2009). *المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي*. جامعة منتوري، -336334. قسنطينة، الجزائر.